

الفصل الثاني عشر

الاتحاد الألماني

ساعدت أفكار الثورة الفرنسية، وما أحدثه نابليون من تعديلات وإصلاحات في ألمانيا أثناء حكمه لها على إنعاش الروح القومية بين الألمان.

كما ساعد انتصار الحركة القومية في إيطاليا بعد تخلصها من الحكم النمساوي على أحياء الأمل في إنشاء الاتحاد الألماني خاصة وأن النمسا كانت الخصم المشترك لكل من إيطاليا وألمانيا، حيث تركزت جهودها في العمل على كبت الحركات القومية في أوروبا وتحقيق أطماعها هناك لذلك قام المستشار النمساوي " مترنخ " بتوجيه الولايات الألمانية إلى اجتماع في " كرلسباد " في عام ١٨١٩م وحصل على موافقتها على قرارات رجعية ضد مبادئ الحرية والمطالبة بالدستور كما نجح في تكميم أفواه الصحافة.

هذا في الوقت الذي اتجهت فيه بروسيا إلى زعامة ألمانيا، واستطاعت أن تضع أسسا قوية لإقامة اتحاد ألماني تحت زعامتها وساعدها على ذلك عدة عوامل هي:-

١- ظهور السياسي الشهير " أوتوفون بسمارك Otto Von Bismarck " على مسرح الأحداث وقدرته الفائقة على مواجهة المشاكل، ومقدرته السياسية الفذة ونجاحه في الوصول إلى إدارة الحكم في بروسيا وهو يحمل برنامجا يسعى لتحقيقه بطريقة علمية ألا وهو إقامة الوحدة الألمانية والعمل على جعل بروسيا أكبر وأقوى مملكة في ألمانيا ونتيجة لذلك جذب الأنظار إليه خاصة وأنه كان خطيبا مفرها نرب اللسان لا يتراجع عن المضي في تحقيق أهداف بلاده ولو كان ذلك على حساب المبادئ.

٢- تولية " وليام الأول William I " زمام الأمور في بروسيا عام ١٨٥٨م وقيامه بالعمل على أن تصبح بلاده دولة قوية وذلك عن طريق تنظيم الجيش البروسي وزيادة إعداده، وإقامة حكومة أوتوقراطية.

٢- إدراك المسؤولين في بروسيا لأهمية الوحدة الاقتصادية بين الولايات الألمانية، فقاموا بتأسيس الاتحاد الجمركي (Zollverein) في عام ١٨١٩^(١) مما كان له أكبر الأثر في تجميع شمل الولايات الألمانية المتفرقة وتخليصها من المكوس الجمركية التي كانت تشكل حاجزا بين هذه الولايات، فبعد أن كانت بروسيا مقسمة إلى عدة مناطق جمركية، وكل منطقة لها ضرائبها الخاصة، تم إلغاء هذه الحواجز مما ساعد على رواج التجارة الداخلية، وأعطى بروسيا القدرة في الدعوة لتشكيل اتحاد سياسي تم بعد ذلك في عهد وليام الأول.

٣- اتجاه الحركة الثقافية في الولايات الألمانية صوب أهداف قومية، وعرضها لأفكار "هيجل"، و"تييتشه" عن الدولة التي يجب أن تتمثل فيها وحدة الثقافة، وعن دور الفرد في خدمة الدولة، ونتيجة لذلك ظهرت جماعة من المثقفين تنادى بوحدة ألمانية عن طريق برلمان يضم الأمة الألمانية كلها.

٤- تنظيم الجيش البروسي وتجديده تحت قيادة "فون رoon" Von Roon الذي يتمتع بقدر كبير من الكفاءة العسكرية، مما قلب التوازن العسكري في وسط أوروبا رأسا على عقب.

ونتيجة للتنافس بين بروسيا والنمسا على تزعّم الاتحاد الألماني، اشتد العداء بينهما إلى حد النفور ومن أجل تعويت الفرصة على بروسيا في قيادة الاتحاد الألماني قامت النمسا بدعوة الأمراء الألمان لمؤتمر في "فرنكفورت" للنظر في الإصلاحات الدستورية المطلوبة حتى يتم تثبيت نفوذها في ألمانيا، ونتيجة لذلك فكر بسمارك في إحباط هذه الفكرة، فاعترض على قيام النمسا بالدعوة لمثل هذا المؤتمر ورأى ألا تمثل بلاده فيه. ولما افتتح المؤتمر في الرابع عشر من أغسطس ١٨٦٣م رأى بسمارك ضرورة توجيه ضربة إلى النمسا، فأرسلت حكومته بذاكرة إلى المؤتمر اقترحت فيها بأنه يجب عند قيام أى إصلاح للاتحاد أن تكون بروسيا على قدم المساواة مع النمسا في مسألة رئاسة الاتحاد، وفي رفض التصديق على إشهار الحرب. وخلال ذلك الوقت حدثت ثورة في بولندا ضد الروس، قامت روسيا بإخمادها بقسوة وعنف مما أدى إلى استنكار معظم شعوب أوروبا لذلك العمل ومطالبتها للروسيا بمنح بولندا استقلالاً

(١) اكتمل تكوينه الرسمي في الأول من يناير ١٨٣٤، وما أن أتى عام ١٨٥٢ حتى انضمت إليه جميع الولايات الألمانية عدا النمسا.

أخليا، ولما دعت بروسيا للاشتراك فى هذا الاستتكار، ظهرت براعة بسمارك السياسية حيث انتهز هذه الفرصة فى العمل على التقرب من الروسيا وعدم مضايقتها حتى تقف بجانبه أثناء تنفيذ خطته خلال عمله على توحيد بلاده، ضاربا بذلك اتجاه الرأى العام فى بريطانيا وفرنسا ومعظم دول أوربا عرض الحائط فبعد تحالفا مع روسيا حتى يضمن حدود بلاده الشرقية أمنة فى حالة إعلان الحرب على النمسا أو فرنسا، للذين كان يجد فيهما خصمين للوحدة الألمانية يجب قهرهما، ومع أن هذا الموقف أغضب الدول الأوروبية وأثار المعارضة فى البرلمان البروسى فقد صمد بسمارك للعاصفة وظل على موقفه.

مسألة الشلزويج Schleswig والهولشتين Holstein

منذ أن استلم بسمارك زمام الأمور فى بروسيا كان يدرك مقدار العداء الذى تكنه النمسا للوحدة الألمانية، مما جعله يعد العدة لمواجهةها حربيا، وقد انتهت الفرصة فى عام ١٨٦٠، عندما حدث الخلاف بين النمسا وبروسيا حول مقاطعتى الشلزويج والهولشتين. وموضوع هاتين الدوقيتين هو أن ملوك الدنمارك كانوا يحكمونها منذ عام ١٤٩٠م، ولما أثرت قضية الوراثة داخل الأسرة المالكة الدنماركية صارتا مكان خلاف بين الدنمارك من جهة وبروسيا والنمسا من جهة أخرى، خصوصا وإن سكان هاتين المنطقتين خاصة الألمان منهم كانوا يرغبون فى الانفصال عن الدنمارك وإعلان الاستقلال عنها، وربط أنفسهم باتحاد جرماني، وكانت الدنمارك تنوق إلى ضم هاتين الدوقيتين بصفة قاطعة إلى ممتلكاتها ومن أجل ذلك حاولت بتأثير من المدرسة وتأثير الكنيسة أن تنمي استعمال اللغة الدنماركية فيهما، كما كانت بروسيا والنمسا يتوقان أيضا إلى ضمهما دون أى حق شرعى أو تاريخى لهما فيها. وإنما اندفاعا وراء حمية العاطفة القومية وقد أدى ذلك إلى ظهور نذير الحرب ومع أن بسمارك كان يرغب فى ضم هاتين الدوقيتين إلى بلاده، فإنه خشى أن يتورط فى مشكلة سياسية قد تلحق الضرر بمستقبله السياسى، ومن هنا رأى أن يشرك النمسا معه، ونتيجة لذلك اشتركت النمسا بقواتها مع بروسيا فى محاربة الدنمارك وتمكنا من هزيمتها. مما اضطر الدنمارك إلى التخلي عن الدوقيتين فى صلح فينا فى أكتوبر ١٨٦٤، فأخذت بروسيا دوقية الشلزويج، وأخذت النمسا دوقية الهولشتين، وذلك طبقا لمعاهدة جاستين Gastein ١٨٦٥م، وقد اعتبر بسمارك هذه المعاهدة مؤقتة، واخذ فى اعداد العدة لاستفزاز النمسا وإجبارها على

الحرب، حيث كان يعتقد أنها العقبة الكبيرة أمام وحدة ألمانيا، ولما قام البروسيون بحفر قناة تصل بين بحر البلطيق وبحر الشمال، اعترضت النمسا على ذلك لاعتقادها ان فيه تقوية لنفوذ بروسيا على حساب مصالحها، وتعقدت الأمور، واتضح لبسمارك ان المشكلة لن تحل الا عن طريق الحرب خاصة وأنه كان يثق في قوة جيشه، ومع ذلك فانه أراد ان يضم إيطاليا إلى جانبه حتى يشغل القوات النمساوية على جبهتين كما أراد ان يضمن حياد فرنسا خلال حروب بلاده مع النمسا.

وبالنسبة لإيطاليا فقد وجه بسمارك جهوده لعقد محالفة معها، وقد نجح في أن يحصل منها على تعهد بأن تنضم إلى بلاده في حالة وقوع حرب بينها وبين النمسا بشرط أن تساعد بروسيا إيطاليا في الحصول على البندقية.

وبالنسبة لفرنسا فقد قابل بسمارك الامبراطور الفرنسي نابليون الثالث^(١) وحصل منه على موافقة بحياذ بلاده إذا وقعت الحرب بين بروسيا والنمسا وبذلك تمكن بسمارك في تطويق النمسا، وبقي أمامه القيام باستئارتها حتى تبدأ بإعلان الحرب على بلاده لذلك بدأ في إثارة المشاكل معها، وفي نفس الوقت حاول أن يظهر أمام الولايات الألمانية والرأى العام الأوربي بمظهر المدافع عن حرية الشعوب، وإظهار النمسا من جهة ثانية بمظهر الدولة المعادية لحقوق الشعوب والديمقراطية فاقترح على المجلس الاتحادي "الدائت" Diete ان تكون وفود الدول ممثلة لشعوبها لا لحكوماتها، مما أثار النمسا فأعلنت معارضتها لهذا الاقتراح، كما قطعت علاقاتها مع بروسيا في ١٥ يونيو ١٨٦٦ وبذأت في الاستعداد للحرب، وهذا ما كان يسعى إليه بسمارك.

وقد بدأت الحرب بين الدولتين في منتصف يونيو ١٨٦٦ ولم تدم سوى سبعة أسابيع فأرسلت النمسا قوات قوامها مائتان وثلاثون ألف جندي لمواجهة القوات البروسية، وفي ٣ يوليو ١٨٦٦ حدثت معارك حاسمة بين الطرفين ظهرت فيها براعة الجيوش البروسية، وتميزها بالدقة العسكرية، فاستطاعت سحق القوات النمساوية التي واجهتها من الشمال الغربي في الأسبوع الأول من بداية الحرب كما سحقتها مرة أخرى في معركة "سادوا" Sadowa في ٣ يوليو ١٨٦٦ وأصبح الطريق إلى العاصمة النمساوية مفتوحا، ولكن بسمارك لم يرغب في

(١) ابن أخو نابليون بونابرت.

إذلال النمساويين بدخول عاصمتهم وخاصة وأنه كان يريد وقفهم على الحياذ فيما إذا حارب فرنسا ومن هنا قبل الوساطة الفرنسية التي طلبتها النمسا، وتم عقد صلح "براغ" فى ٢٣ أغسطس ١٨٦٦ وفيه تم الاتفاق على ضرورة المحافظة على سلامة الأراضي النمساوية فى نظير ان يتم حل الاتحاد الجرماني الذي تنزع منه النمسا ويكون لبروسيا الحق فى إنشاء اتحاد شمالي الماين كما يصبح لها الحق فى حكم الدوقيتين شلزويج وهولشتاين، وقد وافق بسمارك على هذه الشروط، لأنه هدفه الرئيسى كان اقامة الوحدة الألمانية وليس إذلال النمسا أكثر من ذلك نعود إلى موقعة سادوا ونتائجها. الواقع ان انتصارات الجيش البروسى فى هذه الموقعة قد قلب التوازن الدولى فى وسط أوروبا واثبتت نجاح خطط بروسيا الحربية، وتفوق مدفعيتها، والمهارة فى سرعة التعبئة ودقة الحركات، مما أزعج الفرنسيين الذين أصبح الخطر يهددهم خصوصا وانهم شعروا بأن وجود دولة ألمانية موحدة على حدودهم الشمالية يهدد سلامة بلادهم وابتوا يطالبون امبراطورهم نابليون الثالث بإجراز بعض المكاسب للفرنسيين، مما اضطره إلى ان يطالب بروسيا بجزء من الأراضي الألمانية كمن ثم لجياده، ولكن بسمارك رفض التنازل عن أى شئ وعلى كل حال فما أن انتهى بسمارك من النمسا الا وأخذ يستعد لمواجهة فرنسا، ومع ذلك فقد كان يهيمه أن تكون فرنسا هى البائدة بالعدوان، أو تظهر أمام الراى العام الأوروبى أنها المعتدية، حتى يوجد المبررات التى تجعله يخوض الحرب ضدها سريعا حتى لا تستطيع النمسا ان تثار لنفسها بالاشتراك مع فرنسا فى الحرب ضد بلاده.

ونتيجة لفشل سياسة نابليون الثالث فى حل مشاكل بلاده الداخلية بدأ يفتش عن انتصارات عسكرية أو سياسية يستطيع بها تقوية أركان حكمه وهذا ما جعله يغامر بالدخول فى حروب خارجية حتى يشغل الراى العام الفرنسى عن الاهتمام بمشاكل فرنسا الداخلية. ولما أثيرت مسألة وراثة العرش الأسبانيى الشاغر بعد فرار ايزابيلا ملكة أسبانيا من بلادها، نتيجة لقيام الثورة ضدها عام ١٨٦٨م عرض على بساط البحث اختيار الأمير ليوبولد قريب قيصر بروسيا، وكان ذلك مخالفا لرغبة فرنسا لأنه قد يؤدى إلى إحاطتها بالأعداء مما جعل امبراطورها يعترض على ذلك الترشيح بصورة علنية، ويسمى لدى ملك بروسيا كى بحول دون ذلك.

ولما عرض الأمر على الأمير ليوبولد تردد في القبول، ولكن بسمارك انتهز هذه الفرصة ونجح في إقناع الملك والأمير بالقبول، ولما علمت فرنسا بما حدث زاد فوران الغضب لدى للرأى العام الفرنسى وكلفت الحكومة الفرنسية مغيرها فى برلين بمقابلة ملك بروسيا الذى كان يقضى فصل الصيف فى "أمز Ems" ليطلب منه التدخل لوقف الترشيح، وقد تمكن من ذلك، ولكن الحكومة الفرنسية طالبت بالحصول على تعهد كتابى، والا يسمح للأمير "ليوبولد" بقبول هذا المنصب فى المستقبل، ولما حاول المغير الفرنسى مقابلة ملك بروسيا للمرة الثانية رفض الملك ولهم إجابة هذا الطلب.

وقد انتهز بسمارك هذه الفرصة وسعى لإحباط أى محادثات تقرب بين الدولتين كما قام بمعدّد محالفة بين بلاده وأسبانيا، وعندما أرسل الملك البروسى إلى بسمارك برقية بخصوص مقابلاته مع السفير الفرنسى، نشرها فى الصحف بأسلوب أثار الشعور الوطنى فى كل من الدولتين فقام بحذف بعض ألفاظها بحيث يبدو لمن يقرأها أن السفير الفرنسى قد أهان الملك، وأن الملك رد هذه الأهانة أضعافاً، مما أثار الشعب الفرنسى وطالب بالحرب، واضطر الإمبراطور الفرنسى، إلى استدعاء قوات الاحتياطى. وإعلان الحرب على بروسيا فى ١٩ يوليو ١٨٧٠ وهى ما تعرف بحرب السبعين وكان هذا ما يسعى إليه بسمارك. وبالنسبة لموقف أوروبا من هذه الحرب فقد وقعت أوروبا تقريباً على الحياد مما جعل فرنسا تقف وحدها أمام بروسيا، ومع أن جيش فرنسا كان منظمًا فقد كان الجيش البروسى أكثر تنظيمًا، وبدلاً من أن ينقل الجيش ساحة القتال إلى جنوب ألمانيا انقضّ الجيش البروسى عليه وحطّمه تحطيمًا خلال شهر واحد من قيام الحرب وتقدمت القوات البروسية داخل الأراضى الفرنسية بعد هزائمها للقوات الفرنسية فى مواقع متتالية اضطرتها إلى الانسحاب من إقليمى الألزاس واللورين فى ١٤ أغسطس ١٨٧٠ والارتداد إلى الخلف، ولما تقدمت القوات البروسية نحو باريس اضطّر الإمبراطور نابليون الثالث إلى التنازل عن القيادة العليا للجنرال "بازين Bazaine" الذى أظهرت الأحداث أنه لم يكن مؤهلاً لهذا المنصب حيث كان دائم التردد والتباؤل مما أفقد الجيش الفرنسى توازنه، وأدى إلى نجاح القائد البروسى "فون مملكة" فى تطويق الجيش الفرنسى فى "سيدان" وإنزال هزيمة ساحقة به مما أرغم حوالى مائة ألف من القوات الفرنسية على الاستسلام، ووقوع الإمبراطور نابليون الثالث فى الأسر، وإجباره على التسليم فى ٢ سبتمبر ١٨٧٠.

ولقد كان لكارثة سيدان اثر سريع على تطور الموقف فانفجرت الثورة وسقطت الإمبراطورية الثانية وتعلت الأصوات تطالب بإعلان جمهورية مؤقتة كى تتولى الدفاع عن فرنسا وتحاول إخراجها من أزمتها ونتيجة لذلك تألفت حكومة برئاسة "جمبتا" كان جل همها إنهاء حالة الحرب بأسرع ما يكون، على أن لا تفقد فرنسا شيئا من أراضيها. ونظرا لإصرار المانيا على ضرورة تنازل فرنسا عن بعض أراضيها استأنفت الحرب وانتهت بحصار الألمان لباريس وتعرض سكانها للمجاعة، ونتيجة لذلك نقلت القيادة الحربية الفرنسية مقر قيادتها إلى مدينة "تور" حتى تتمكن من إدارة المعارك ضد الغزاة من هناك، وخلال ذلك تمكن الزعيم الفرنسي "جمبتا Gambetta" من جمع جيش بلغ تعداده حوالى مائة وثمانين ألف جندى لمحاربة الغزاة ودارت رحى المعارك حتى أجبرت باريس على الاستسلام فى ٢٨ من يناير ١٨٧١، واضطر الباريسيون إلى فتح باب المفاوضات مع الألمان والتي أصر بسمارك من خلالها على أن يقوم الفرنسيون بانتخاب جمعية وطنية يكون فى مقدورها ان تقبل أو ترفض الصلح مع الألمان مقابل فقدتها لبعض أراضيها.

ونظرا لاصرار "جمبتا" على عدم التنازل عن شبر واحد من أراضى بلاده، ورغبة من الفلاحين الفرنسيين فى إحلال السلام فقد عقدت الجمعية الوطنية اجتماعا فى مدينة بورنو قررت فيه الموافقة على الصلح مع الألمان وانتخاب "تيير Thiers" رئيسا للسلطة التنفيذية فى فرنسا ومنحه تفويضا بإجراء مفاوضات الصلح على ان الموقف فى فرنسا سرعان ما اشتعل فجأة، وخرج من يد الجمعية الوطنية حيث قامت ثورة فى فرنسا ترعمتها الطبقة العاملة والمتوسطة وأقامت حكومة جديدة فى باريس، وهى الحكومة التى يطلق عليها البعض "كومون باريس" والتى يعتبرها بعض المؤرخين أول محاولة فى التاريخ الحديث لإقامة حكومة اشتراكية بأسلوب الفهم الماركسى. وقد أعلن كومون باريس الثورة على الجمعية الوطنية وناشد المدن الفرنسية الأخرى ان تحذو حذوه كىس فقط من أجل الدفاع عن استقلال فرنسا ضد الغزو الألمانى ولكن أيضا للكفاح من أجل بناء نظام اشتراكى وإبعاد القوى الملكية عن الحكم، وبالفعل تكونت فى فرنسا كومونات متعددة. ولكن الجمعية الوطنية بزعامة "تيير" استطاعت القضاء على هذه الكومونات بسرعة حيث قررت استخدام جيشها المنهزم أمام ألمانيا فى القضاء على هذه الحركة. فدخل الجيش الفرنسى باريس واستعمل كافة أنواع البطش والقتل فى الثوار حتى قضى فى باريس وحدها على ما يقرب من ١٣ ألف من الثوار.

وإبان هذه المعارك كان "تير" يقوم بالمفاوضات مع بسمارك تلك المفاوضات التى انتهت بمصلح فرنكفورت فى ١٠ مايو ١٨٧١ والتى بمقتضاها أجبرت فرنسا على التنازل عن الأتراس بما فيها من صناعات وشطر كبير من اللورين بما فيه من خام الحديد إلى ألمانيا وكذلك مدينة "متر" وفرض عليها غرامة حربية قدرها خمسة مليون فرنك تجمع فى خلال ثلاث سنوات ثم تكبير ما يحتاج إليه الجيش الألمانى حتى يتم دفع هذه للغرامة ومعنى ذلك أن نهر الرين أصبح يجرى وسط أراضى ألمانية.

ولثقل وطأة الاحتلال الألمانى الجاثم على صدر أراضى فرنسا الشمالية، قام "تير" بالتعجيل فى دفع الغرامة عن طريق القروض الداخلية واستطاع أن يدفعها فى ظرف ستة أشهر ويخلص فرنسا من استمرار إذلال ألمانيا لها لدرجة أن أطلق عليه الفرنسيون محرر الوطن.

وقد استغل بسمارك انتصارات بلاده على فرنسا، وبدأ فى التفاوض مع ملوك وأمراء الولايات الألمانية من أجل تحقيق وحدة ألمانيا تحت زعامة بروسيا، وتم اختيار النظام الاتحادى كنظام للدولة الألمانية الجديدة، واختيار الملك "وليم الأول" إمبراطورا لألمانيا. وفى قصر المرايا بفرساي أعلنت الإمبراطورية الألمانية، وتم من خلالها إقامة دولة ألمانية موحدة فى الشؤون الخارجية والعسكرية برئاسة وليم الأول ملك بروسيا الذى حمل لقب قيصر ألمانيا، كما أعلن دستور الإمبراطورية الجديدة، وبذلك دخلت ألمانيا فى عداد الدول العظمى.

وبعد أن حقق بسمارك لألمانيا وحدتها، وأصبحت الإمبراطورية الألمانية الجديدة مركز الثقل فى دائرة توازن القوى السياسية الأوروبية وغدت تملك نهر الرين من الحدود السويسرية إلى الحدود الهولندية، بدأ بسمارك يغير سياسته التى كانت تستند على ضرورة دخول بلاده الحروب حتى يتحقق لها الوحدة إلى سياسة الحيولة دون وقوع حرب فى أوروبا خصوصا وأنه كان يعتقد أن ألمانيا تحتاج إلى السلم حتى تستطيع الاحتفاظ بالانتصارات التى أحرزتها وقد ساعده على ذلك أن أوروبا كانت منشغلة بالمشكلات التى أعقبت الثورة الصناعية وما نتج عنها من أثار سياسية واقتصادية واجتماعية، ونتيجة لذلك استمر السلام فى أوروبا لأطول فترة فى تاريخها الحديث، وهى الفترة ما بين ١٨٧٠-١٩١٤.

ولما كانت عملية توحيد ألمانيا قد تمت على حساب انتزاع الألزاس واللورين من فرنسا وضمها للاتحاد الألماني وهو مازل الفرنسيون يعتبرونه جريمة مزقت شمل أمة تمزيقا وحشيا وكان بسمارك على قناعة تامة بأن الفرنسيين، وإن رضوا مؤقتا بالأمر الواقع فإن كبرياتهم سيؤدى إلى إحباط كل سعى للسلام، وأنهم سيحاولون استرجاع ما أخذته منهم ألمانيا عن طريق إقامة تحالف دولى معاد للإمبراطورية، ومن هنا بذل بسمارك شتى الجهود لعزل فرنسا دبلوماسيا وإفشال مخططاتها فى تكوين أي تحالف ضد ألمانيا فبدأ الاتصال بامبراطوريتى النمسا والمجر، والروسيا وفى عامى ١٨٧٢، ١٨٧٣، تم الالتقاء مع زعماء هذه القوى فى برلين، ودخلت العلاقات بين ألمانيا والإمبراطوريتين الكبيرتين مرحلة الاتفاقيات والمواثيق فعمدت اتفاقية سرية بتبادل المساعدات العسكرية بين ألمانيا وروسيا إذا هوجمت إحداهما من جانب دولة ثالثة، كما عقد اتفاق آخر وقعته فى روسيا وألمانيا والنمسا ويتضمن مشاور هذه الدولة فى الوصول إلى تفاهم مشترك حول خطة العمل الحربى فى حالة الاعتداء من جانب دولة أخرى على إحدى دول التحالف.

وقد أطلق على هذا الوفاق والتفاهم اسم " عصبة الأباطرة الثلاثة " ويبدو أن هذه العصبة كانت تحمل معول هدمها فى يدها حيث اصطدمت مصالح روسيا القيصرية فى البلقان مع مصالح النمسا مما أخرج وضع ألمانيا وفرض عليها أن تختار بين إرضاء النمسا أو إرضاء روسيا، ولما رأى بسمارك أن ارتباط مصالح بلاده بالنمسا أكثر منها مع روسيا سارع بتوثيق تحالفه مع فرنسا، وعقد معها اتفاقا فى أكتوبر ١٨٧٩ يقضى بأن تقدم كل من ألمانيا والنمسا المساعدة للأخرى بكل قواها العسكرية إذا هوجمت إحداهما من جانب روسيا القيصرية أما إذا هوجمت إحدى الدولتين من جانب دولة أخرى غير الروسيا، فإن الدولة الثانية تتف موقف الحياد المشوب بالتعاطف تجاه حليفها وقد ظل هذا التحالف بمثابة حجر الزاوية فى سياسة ألمانيا الخارجية، كما كان محورا للارتكاز الذى قصد به بسمارك عزل فرنسا عن الدول الأوروبية الكبرى.

ولما حاول بسمارك ضم إيطاليا إلى التحالف الثنائى ليصبح تحالفا ثلاثيا لم يجد فى ذلك صعوبة نظرا لأن إيطاليا كانت حريصة على أن تتحالف مع دولة كبرى مثل ألمانيا يمكن أن تساعد فى التخلص من مشكلاتها الداخلية وخاصة مع البابوية التى تعتمد على ولاء العلم الكاثولى لها وأيضا فى تحقيق أحلامها التوسعية بعد أن خاب أملها فى الاستيلاء على تونس

حيث سحقتها فرنسا واستولت عليها في عام ١٨٨١ لذلك رحبت إيطاليا بالانضمام إلى التحالف الثاني في عام ١٨٨٢، فاشاء التحالف الثلاثي من برلين - فيينا - روما ثم اتسع بعد ذلك فشمّل رومانيا والصرب.

هذه كانت سلسلة التحالفات التي أوجدها بسمارك بغرض عزل فرنسا والضعاف موقعها، وقد مكنت هذه التحالفات من عزل فرنسا عزلا يكاد يكون تاما.

وعند تحليلنا لمصادر القوة والضعف في هذه التحالفات يتضح ما يلي:-

أولاً: نواحي القوة:

- ١- سهولة الاتصال بين القوى المتحالفة حيث أنها تتمركز في منطقة مقاربة.
- ٢- ضخامة القوة الاقتصادية للدول المتحالفة.

ثانياً: نواحي الضعف:

- ١- أن هذا التحالف ضم دولتين متنازعتين هما النمسا والصرب، مما أدى إلى إثارة المشاكل القائمة بينهما داخل التحالف.
- ٢- وجود ثغرات واضحة داخل نصوص المعاهدات تمكن بعض دول التحالف من عدم الالتزام بالمواثيق عند اللزوم وتفسيرها بالطريقة التي تتلاءم مع مصلحتها.

فعلى سبيل المثال استخدم ضمن النصوص تعبير " العدوان غير المستفز " بمعنى أن أي دولة داخلية في الحلف ليست ملزمة بالدخول في الحرب إلا إذا اعتدى على حليفها من قبل دول أخرى أما إذا استفزت حليفها دولة أخرى مجاورة لدرجة تدفعها إلى الحرب فإن دخول دول الحلف لمساعدتها ليس ملزماً ولنضرب أحد الأمثلة لتوضيح ذلك.

إذا اعتدت فرنسا على ألمانيا فإن على إيطاليا أن تسارع لمساندة ألمانيا أما إذا عمدت ألمانيا إلى استفزاز فرنسا إلى الدرجة التي تدفع فرنسا لمهاجمة ألمانيا فإن إيطاليا ليست ملزمة في هذه الحالة بالدخول في الحرب.

وعلى أي حال قد تمكن بسمارك بهذه التحالفات من عزل فرنسا عن بقية الدول الأوروبية ويبقى أن نتحدث عن جانب آخر من سياسة بسمارك الدولية وهو دخول ألمانيا في

المجال الاستعماري لقد حول بسمارك في بداية الأمر لبعاد بلاده عن المجال الاستعماري خارج أوروبا حتى لا يزعج بريطانيا، ويدفعها إلى التقارب مع فرنسا، ولكن ظروف النمو الصناعي لدخل بلاده كانت أقوى من أن يقف بسمارك أمام الرغبة في تكوين مستعمرات للحصول منها على المواد الخام اللازمة للصناعة وأيضاً لتصريف المنتجات التي تقوم المصانع الألمانية بتصنيعها ونتيجة لذلك تأسست الجمعية الألمانية الاستعمارية في عام ١٨٨٢، كما بدلت فكرة تكوين مستعمرات ألمانية خارج أوروبا تسيير إلى حيز التنفيذ فأسس الألمان أربع مستعمرات في جنوب غرب وشرق أفريقية (مثل الكامرون وتوجلاند) كما امتد نفوذهم ناحية الشرق الأقصى فوصلوا إلى غينيا الجديدة (إيريان الغربية) واستطاعوا الحصول على قاعدة بحرية في جزر مارشال بمنطقة الباسفيك، كل ذلك جعل الدول الأوروبية تعترف بألمانيا كدولة استعمارية وأكبر دليل على ذلك أن المؤتمر الذي عقدته الدول الأوروبية بشأن تسوية نزاعها حول أفريقية عقد في برلين عام ١٨٨٤، ورأس المؤتمر بسمارك نفسه.

وعلى الرغم من كل ذلك فقد كان بسمارك يعمل على إرضاء بريطانيا والتقرب منها، لدرجة أن علاقات بلاده معها كانت طيبة للغاية، غير أن ذلك لم يستمر طويلاً، فعندما تسوفى الإمبراطور الألماني "وليم الأول" في عام ١٨٨٨ بدأت سياسة بسمارك الخارجية في الانهيار وبخاصة عندما وصل الإمبراطور الشاب "وليم الثاني" إلى الحكم وقيامه بتتحية بسمارك من منصب المستشارية في عام ١٨٩٠ وتولية "فون كابريفي" Von Caprivi مكانه، وذلك للخلاف بينهما حول الموقف من روسيا القيصرية وزيادة التوسع الاستعماري.

ونتيجة لعدم ارتياح بريطانيا والروسيا من سياسة الإمبراطور الألماني الجديد، بدأ التقارب البريطاني الفرنسي يأخذ طريقه، مما نتج عنه عقد الاتفاق الودي بينهما في عام ١٩٠٤، كما مهد الطريق لظهور التحالف الروسي الفرنسي في عام ١٩٠٧، وأدى أخيراً إلى قيام التحالف الإنجليزي الروسي الفرنسي في عام ١٩٠٧ فيما يعرف بالوافق الثلاثي.

ثم أخذت علاقات إنجلترا مع ألمانيا طريقها إلى التدهور خصوصاً بعد أن قام الإمبراطور الألماني بمساندة البرتغال ضد بريطانيا في حرب البوير، ومحاولاته المتكررة للحصول على المزيد من المستعمرات والقواعد البحرية، ورغبته في إنشاء بحرية ألمانية قوية - ... تنافس القوى البحرية البريطانية، وإيجاده للعديد من المشاكل والتي نجم عنها على سبيل المثال الأزمة المراكشية ووقوف بريطانيا بجانب فرنسا خلال هذه الأزمة.

وعند تحليلنا لمجمل الإنجازات التي تحققت في عهد "وليم الثاني" في المجال الاستعماري نجدها ضئيلة فعلى الرغم من أن "وليم الثاني" كان صاحب فكرة نزول ألمانيا بكل ثقلها إلى المجال الاستعماري فإن محصلة المستعمرات التي حصلت عليها ألمانيا في عهده كان أقل من المستعمرات التي حصلت عليها في أيام بسمارك، وإلى جانب ذلك فإن بلاده فقدت الكثير من المجال الدولي عما كان عليه الحال خلال تواجد بسمارك، كما أنها فقدت صداقة إنجلترا وأدى إلى تقاربها مع فرنسا.

وعلى أي حال فقد حاولت ألمانيا ممارسة ظاهرة استعمارية جديدة تمثلت في الرغبة في الحصول على الثروات الاقتصادية التي تحتاج إليها دون أن يكون ذلك عن طريق الاستعمار المباشر، وهذا ما يطلق عليه اسم الإمبريالية ولتحقيق ذلك عملت ألمانيا على تنفيذ عدة مشروعات من أهمها:

١- مشروع وسط أوروبا Mittle Europa

٢- مشروع الاتجاه نحو الشرق Drang Nach Osten

وقد قصد "وليم الثاني" بالمشروع الأول تكوين اتحاد جمركي في وسط أوروبا لزيادة الروابط الاقتصادية بينها مما يتيح لألمانيا اجتذاب الناطقين بالألمانية الذين يعيشون خارج حدودها، واستغلال هيكلها الاقتصادي الكبير في الهيمنة على تلك المنطقة. أما المشروع الثاني وهو الاتجاه نحو الشرق فالهدف منه الوصول إلى ممتلكات الدولة العثمانية في الشرق عن طريق بناء سكك حديدية، وربط اقتصادها بألمانيا عن طريق المواد الخام بها، وجعل هذه البلاد سوقا لتصريف المنتجات الصناعية الألمانية. وقد عارضت إنجلترا والروسيا هذه المشروعات معارضة شديدة ثم جاء قيام الحرب العالمية الأولى فأوقفها تماما. ^(١)

(تستكمل الموضوعات الخاصة بتاريخ أوروبا المعاصر)

في الجزء الثاني من الكتاب (

^(١) محمد أنيس: تاريخ أوروبا المعاصر.